فيم تفكر هذه الطفلة؟

بقلم : أم يحيى
مديرة برنامج النساء
(هيئة الاغاثة الانسانية العالمية)

الطفلة شيرين

كنت جالسة مع بعض النساء في مخيم " أكوره ختك " للمهاجرين في الأسبوع الماضي عندما اقتربت مني طفلة عمرها ١٢ سنة تدعى " شيرين " وهي تحمل قطعة سجاد صغيرة مربعة الشكل نسجتها بنفسها، وقد اتضح لي أن الصورة التي كانت مزيجا من الألوان عن بعد هي عبارة عن طائرة ضخمة تحلق في سماء مليئة بالطائرات العمودية، والمجاهدين وبعض الطيور والأزهار. وحينما استفسرت من " شرين " عن السبب الذي دعاها لرسم طائرة، أجابت بوجه متجهم " لانني أريد أن أقتل الروس بطائرتي" .

أطفال أفغانستان هم أطفال الحرب ، والآن وبعد تسع سنوات من الجهاد، لايستطيع أي طفل أن يتذكر سماء خالية من القنابل ، وأرضا ليست مغطاة بالدم. أعط أي طفل قلما وورقة ليبدأ حتما برسم المدافع والدبابات والطائرات وهي تحلق فوق أجساد الموتى الملقاة كالأعواد الجافة على الأرض ، كل طفل يرغب في أن يقاتل ليحرر بلده ،كل طفل يريد أن يصبح مجاهدا، أيامهم وأحلامهم مليئة بالجهاد. والسؤال الآن ، هل الأطفال الذين نشأوا ليقاتلوا سيصبحون كبارا غير قادرين على العيش في سلام ؟

شغلت احدى المنظمات الانسانية نفسها بهذا السؤال في نشرة لها خلال العام الماضي تحت عنوان (خريف ١٩٨٧ - أفغانستان الحرة) ، وتناقش كاتبة المقال سياسة "التلقين " السيئة التي يمارسها السوفييت في أفغانستان ثم تقرر(بأن المجاهدين على نفس القدر من السوء لأنهم " يلقنون " الأطفال بأن واجبهم هو قتال الملحدين الروس - حسب تسمية المجاهدين - وكأن الروس ليسوا سوى ذلك !). ومن الطبيعي أن أفراد هذه المنظمات " الانسانية " ليس لديهم أي معتقد سوى بعض المثل المضللة" كالحرية " والتي يعجزون عن تعريفها. فلا يعدو المجاهدون كونهم " شديدي التطرف " بالنسبة لأذواقهم ، وكأن"تطرفهم " هذا ليس السبب وراء هزيمة السوفييت ، الذين لم يجرؤ أحد غيرهم في هذا العالم على قتالهم.

وتمضي الكاتبة لتقول (ان ضغوط الحرب العاطفية وتلقين الأطفال الذين لم يعايشوا السلام والحنان والعطف ، وانما شاهدوا الجوانب السيئة من الانسانية ، سينتج عنها جيل من الأطفال ذوي الطبع " العدائي المتعصب " والذين سيواجهون صعوبة في العيش بسلام مع أقرانهم الأفغان).

ويبدو - مؤكدا - أن كاتبة المقال قد أصيبت بحالة هلع تسميها " التطرف الاسلامي " والتي استحوذت على العالم، وان كانت قد شاهدت الجوانب المسيئة للانسانية " في هذا الجهاد فانني أتساءل عن الجوانب

المحببة التي تحتفظ بها الكاتبة. انه من المؤكد أن الأطفال الأفغان قد شاهدوا أفضل شيء من الانسانية ، شاهدوا أناسا يضحون بأرواحهم في سبيل الله ، ويقضون أيامهم دون عائلاتهم ودون بلادهم . شاهدوا أناسا يتقاسمون الطعام والمأوى مع غرباء عنهم ، وأيتاما يؤتى بهم الى بيوت غير بيوتهم ليجدوا العون والعناية ،نعم لقد شاهد أطفال أفغانستان سلوكا نبيلا في هذا الجهاد .

وفي الوقت نفسه فانه من الواضح أن الأطفال ليسوا في وضع مثالي وأن هناك بعضا من الحقيقة فيما تناولته كاتبة المقال آنفة الذكر،ولكن في حالة الطوارىء هذه ومحدودية الموارد فان على الانسان أن يثابر على التمسك بالضروريات ، ولهذا لاقى الجهاد عناية عند تعليم الأطفال ، الشيء الرئيسي الذي يتعلمه الأطفال هو أنه يجب على المسلمين أن يقاتلوا الروس الكفار ، ولكن في الغالب لا يوسع مفهوم الجهاد عن ذلك . وهذا أمر خاطىء ،فان هؤلاء الأطفال اذا أريد لهم أن يتمسكوا باسلامهم في هذا العالم المعقد ، فانه يجب أن يكون لديهم فهم عميق لمبادىء الايمان وقدرة على معرفة أعداء الاسلام بكل أقنعتهم الخبيثة . الذي يجب على أطفال أفغانستان تعلمه هو أن الجهاد لايكون الا في سبيل الله . والجهاد لذلك ليس مجرد المعركة ضد الكفار، بل أيضا مجاهدة النفس للتغلب على الأفكار والأعمال الذميمة . ميل الانسان الى اعتبار آرائه فوق آراء الآخرين ليس سوى نتيجة للتكبر الواهم، ومن أعظم الجهاد المحاربة لقتل هذا الكبر. هذا الفهم سيعين الأطفال على العمل مع بعضهم البعض لتأسيس وتنمية المجتمع الاسلامي عندما يكبرون.

يجب أيضا تعليم أطفال أفغانستان ألا يتبعوا طرق الكفار،مهما كانت بلادهم ،روسيا، أميركا ، السويد ،فرنسا ،فبينما يقذف الروس خارج بوابة أفغانستان الخلفية، تلاقى أعداد كثيرة من الملحدين الترحيب على البوابة الأمامية وبأذرع مفتوحة ، الهيئة السويدية وحدها تدعم ٢١٠ مدرسة ابتدائية داخل أفغانستان و سكان السويد ذوي أكثرية ملحدة ، كيف نستطيع أن نسمح لمثل هؤلاء الناس بأن يكون لهم أي دور في تطوير عقول أطفال المسلمين ؟ يقول الله عز وجل ((يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)) (النساء،١٤٤)، انني أعتقد أن الأفغان يودون الاجابة على ذلك " نحن نحب أن نتخذ المؤمنين أولياء، ولكن أين هم وأين جمعهم؟" .

وحتى اذا انسحب السوفييت من أفغانستان – ان كانوا فعلا يبيتون ذلك – فانه من المؤكد أن الدمار سيستمر، سيحتاج الأفغان الى الكثير من العون لكي يؤسسوا دولة اسلامية تكون هدف كل المسلمين ، وقد

> بينما يقذف الروس خارج بوابة أفغانستان الخلفية تلاقي أعداد كبيرة من الملحدين الترحيب على البوابة الأمامية وبأذرع مفتوحة .

أبدى الأفغان تفانيهم واخلاصهم للاسلام من خلال تسع سنوات من الجهاد ، لكنهم وببساطة ليس لديهم الموارد لاعادة بناء بلادهم ، بصورة تكفي لتأسيس دولة اسلامية في محيط من الأعداء المجاورين.لائحة مندوب الأمم المتحدة للاجئين تضم ٤٧ هيئة متطوعة تعمل الآن مع المهاجرين الأفغان في المقاطعة الشمالية الغربية الحدودية بباكستان ، ومعظم هذه الهيئات تعمل الآن أو تخطط لتعمل في داخل أفغانستان ، وعشر فقط من هذه الهيئات اسلامية .

يجب أن يحظى تعليم الأطفال بالأولوية عند المسلمين ، سواء كان الخبز من عمل المسلم أو غير المسلم فانه لن يخرج عن الطحين وبعض الأشياء الأخرى . أما مكونات التعليم فانها كثيرة: أفكار ، ايمان ، قوة على المسلمين أن يخجلوا حين يجدون أن الكفار والمنصرين يزوّدون اخواننا واخواتنا في أفغانستان بالكثير من المساعدات . يجب علينا أن نشعر بالقلق ازاء هذا النوع من " المساعدة". وان كانت أفغانستان ستكون مكانا يعبد فيه الله عز وجل في المستقبل ، فان علينا أن نعتني بالمستقبل : الـ ٥٠ ٪ من أبناء أفغانستان والذين هم دون الرابعة عشرة من العمر■